رسالة الشعر

مختارات من أدب الرافعي

« انقطع الرافعي عن التعلم في المدارس بعد حصوله على الشهادة الابتدائية لعلة أصابته في أذنيه ، فكان لذلك أثر شديد في نفسه ، وكان بذلك يرى نفسه وهو في العشرين كأنما ودع الشباب ؛ فهو كثير الالتفات إلى الماضي والحنين إليه ؛ وما كان له ماض بعد إلا المدرسة التي هجرها برغمه من جراء العلة التي نالته . فاستمع إليه في القطعتين التاليتين يتحدث عن المدرسة وعهد الدراسة كما يتحدث الشيخ الهم عن ماضيه البعيد . والقطعتان من أول ماقال الرافعي من الشعر وهو ابن عشرين سنة » . أما القطعة الثالثة فقد ألقاها في الحفلة السنوية لجمعية الاتحاد والاحسان السورية المصرية بطنطا في ٢٢ أبريل سنة ١٩٢١

محمد سعيد العريان

(١) زمن الدراسة

زمن كالربيع حلّ وزالا ... ليت أيامه خُلقن طوالا !

يحسب الطفلُ أنه زمن الهمِّ ... وما الهمُّ يعرف الأطفالا

يابَنِي الدرسِ ، مَن تمنّى الليالي ... كليا ليكمُ تمنّى المحالا

ليلةٌ بعد ليلةٍ بعد أخرى ... وليالي الهنا تمرُّ عِجالا

قد خَبَرْنَا الأنامَ في كل حالٍ ... فإذا الطفلُ أحسنُ الناسِ حالا

وهو إن جدَّ لم يزل في صعودٍ ... وكذا البدرُ كان قبلُ هلالا

غير أن الكسولَ في كل يوم ... يجد اليومَ كلَّه أهوالاً

ويرى الكُتْبَ والدفاتر والأقـ ... ـلامَ وأوراق درسه أحمالا

وإذا ماشى إلى قاعة الدرْ ... سِ ذراعاً يظنُّه أميالا !

من يقم في الأمور بالجِدِّ يَهْنأْ ... والشقا للذين قاموا كسالى

وزمانُ الدروس أضيقُ من أن ... يجدَ الخاملون فيه مجالا

أيها الطفلُ لاتضيِّع زماناً ... ليستَ تَلْقَى كمثله أمثالا

ربما نلتَ ما يفوتُ ، وهيها ... تَ إذا فاتكَ الصِّبَى أن تنالا !

(٢) بعد المدرسة

ما لأيام ذا الصِّبَى تتفانَى ؟ ... وقديماً عهدتُها تتوانَى

ذهبتْ بالصِّبَى ، سلام عليها ... من فؤادٍ بحبِّها ملآنا

كل ذي حالة سيُمْنَى بأخرى ... ويلاقي بعد الزمان زمانا

والفتى مَن إذا تغيَّر حالٌ ... لم يقف في وجوهه حيرانا

هذه ساعة الحصاد ، فمن كا ... نَ تَغَنَّى أراحَه ما عانَى

والذي يزرع التهاونَ في الأمْـ ... ـياء لايجتنيه إلا هوانا

ليس يُجدي الإنسانَ أن يأمل النا ... سُ فلاناً من قومه وفلانا

فاسعَ في الأرض ، إن عِقبان هذا الـ ... ـجوِّ لايرتضين فيه مكانا

واحذر الناسَ ، إنما يأمن النا ... سَ صَبِيٌّ يظنُّهم صبيانا

واركب الجِدَّ في الأمور ولا تَجْـ ... ـبُنْ إذا فات بعضُها أحيانا

إن هذا الوجود كالحرب : لايُكْـ ... ـرَمُ في الحرب من يكون جبانا

« سنة ١٩٠١ »

مصطفى صادق الرافعي

(٣) مصر والشام

سمة النيل مُرِّي بالسلام إلى ... نسيم وادي الهوى في أرض لبنان
النسيم الذي رَفَّت نضارتهُ ... كدمعة الفجر رفَّتْ فوق ريحان
النسيم الذي يَنْدَى على كَبِدي ... ندى السرور على آفاق أحزان
النسيم الذي من طول أُلْفَتِهِ ... للزهر أحيا بروح الزهر أغصاني
يانسمات النيل طِرْنَ إلى ... ذاكَ النسيم بأشواقي وتحناني
ي يرفُّ رفيفَ الطير بينكما ... كأنما أنتما فيهِ جَناحانِ

* * *

سر في حقِّها الأدنى على هوًى ... وللشآم هوًى في حقِّها الداني
تُ الكريمَ بِداري إنْ رعيتُ لها ... عهداً ولم أرْعَ فيهِ عهدَ جيراني

* * *

صرُ أرضُكِ مهدُ العقل كان بها ... والشام منبت أرواحٍ وأديانِ
رّة العقلِ في مصرٍ، وجارتُها ... نُبُوَّة الروحِ فيها مُنْذُ أزمانِ
لتاهما تركتْ في الدهرِ معجزةً ... إيمانُ عقلي فيها عقل إيماني
نّي من الحسن أعياني تفهُّمُهُ ... لكنهُ هو معنى الخالدِ الفاني

* * *

ام من مصرَ، لكن قد تجاورتا ... لِتُصبحا المعالي شِبْهَ ميزانِ
ترَ الدهرَ وزّاناً بمجدهما ... مُلكاً بملكٍ وتيجاناً بتيجانِ
ام من مصرَ لكن قد تباينتا ... لأنَّ حسنَهما في الأرض حُسْنَانِ
انِ في واحدٍ كالغصنِ تنظرهُ ... لوناً وبالوردِ غصنُ الوردِ لونانِ
لشرقِ وَجْهٌ من الدنيا تُطِلُّ بهِ ... ومصر والشامُ في ذا الوجهِ عينانِ
صرُ يا سوريا أنجدُ (دائرةٌ) ... وأنتما في محيط المجد (قُطران)
ذا كمُشْبِهٌ في الحسن صاحبهُ ... أأنتما واحدٌ أمْ أنتما اثنانِ
بي الممالكَ إخواناً مُعَلَّمَةً ... لكنَّما مصرُ والشامُ الشقيقانِ
تُسأَلُ الأرضُ: أين أبناكِ؟ لالتفتتْ
إليهما ثم قالتْ: هاهما ذانِ

رحلة ما تنقضي

للأستاذ فخري أبو السعود

ما طول لبثي في ديار قرار ... والنفس تائقة إلى الأخطار؟
إني سئمت لطول لبثيَ موطني ... ورغبت عن خدني وعفتُ جواري
وملت نفسي إذ غدت وكأنها ... دثر من الأطلال والآثار
قد آدها طولُ القعود ولم تزل ... وثابة العزمات والأوطار
لأجددنَّ برحلة عزماتها ... وأُصَدِّعَنْ عنها قيودَ إسار
أأُقيم في أرض وفكري ماوَنى ... في الكون عن دأب وعن تسيار؟
تالله أهدأ أو تُسابِقَ خطوتي ... خطواتهِ في شاسع الأقطار
في رحلة في الأرض تعقب رحلة ... لم أدر غايتها وأين قراري
أحتثُّ خطوي في مَسارحَ لم تُجَبْ ... بالكهرباء ولم تُجَزْ ببخار
متمليًا أني ترامَتْ بي النوى ... من فتنة الأرياف والأمصار
ألقي شروقَ الشمس يوماً من ذرى ... طود ويوماً من عباب بحار
وتظل دائبةً وأمعنُ دائباً ... حتى أودع قرصها المتوارى
وأسيرُ من رمل لِوادٍ معشب ... غَشَّتْ حصاه سواقطُ الأزهار
نَفْسي هنا لك صاحبي أكرِمْ به ... من صاحب من صفوة الأخيار
أنْسَى على سَنَنِ الطريق بلابلي ... ويخف ما بالنفس من أوقار
وأرى الحياة مع المسير جميلةً ... والمكثُ حلفُ الهم والأكدار
ويقولُ مَن هذا الغريبُ معاشرٌ ... أنا فيهمُ سرٌّ من الأسرار
أغشى ديارهمُ وأطوي أفقهم ... وأمر فيهم كالخيال السارى
وهُمُ حيالي دائبون بمسرح ... للعيش ذي وِرْدٍ وذي إصدار
فكأنهم دوني شخوصُ رواية ... عُرضتْ مَشاهدها على النُّظَّار
ياليت عمري رحلة ما تنقضي ... موصولة الأسفار بالأسفار
لا أصطفي وطناً ولا آوي إلى ... دار فهذا الكون طراً داري
لادارَ إلاَّ حيث أغفى في حمى ... جبلٍ مُنيف أو مَعين جار
أروى فؤادي من مباهج عالم ... هو مسرح الألباب والأبصار
وأبيع في الأسفار عمراً واحداً ... أشْرِي به ألفاً من الأعمار

فخري أبو السعود